الأهرام

المصدر: الوفد

التاريخ : ٦ اغسطس ٢٠٠٢

حكايتنا مع السودان

أعلنت حكومة السودان أنها والحركة الشعبية لتحرير السودان التى يقودها جون قرنق أنهما سيسعيان إلى تحقيق وحدة السودان شماله وجنوبه. وأدلى مسئول فى الخرطوم بحديث إلى صحيفة «الشرق الأوسط» قال فيه إن اتفاق ميكاكوس لا يتضمن نصا بانفصال الجنوب عن الشمال لأن حق تقرير للمصير لا يعنى الانفصال. ولا يوجد نص فى القوانين الدولية بأن حق تقرير المصير يعنى الانفصال. وواضح من هذا كله أن حكومة السودان تخدع نفسها، وأن الآخرين أيضا يخدعون. فالنص على حق تقرير المصير للجنوبيين لا يعنى إلا أن من حقهم الانفصال عن الشمال. وهذه هى الحقيقة التى يجب أن تواجهها الخرطوم والقاهرة!

الآن وبعد توقيع اتفاق كينيا الشهير، علينا أن نذكر الماضى، وأن نستعيده بشدة وأن نتعلم مما جرى منه. القصة التالية التى أرويها الآن حدثت فى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ٢٠ يناير عام ١٨٩٣ فى القاهرة. ووقائع هذه القصة لا يعرفها إلا المشتغلون بشئون مياه النيل وخبراؤه فى العالم. جرت الأحداث فى المعهد العلمى بالقاهرة ويقع قرب مجلس الوزراء فى قلب العاصمة المصرية.

يومها وجهت الدعوة إلى كل من يرغب لحضور محاضرة فى المعهد والدعوة نشرت على نطاق واسع فى العاصمة المصرية الحاضر اسمه فيكتور برونت فرنسى وهو مهندس خبير فى محطات المياه والسدود متخصص فى مياه النيل.

وبين الحاضرين ثلاثة من الشخصيات الهامة وهم يعقوب ارتين باشا رئيس المعهد العلمى ولى شيفالييه المندوب الفرنسى فى صندوق الدين وبروفيير رئيس المحكمة المختلطة. ومعظم الحاضرين من أبناء الجالية الفرنسية ومن المصريين مهندسين وغيرهم، الذين يعرفون اللغة الفرنسية التى يتحدث بها المحاضر.

وكان الحاضرون يستمعون إلى المحاضرة وإلى أصوات تأتى من الشارع تهتف ضد الاحتلال البريطانى لمصر فى إحدى نوبات الغضب والصراع بين مصر وإنجلترا.

●●●

موضوع المحاضرة كان عن مياه النيل وقبل سنوات من هذه المحاضرة، كان وكيل وزارة الأشغال المصرية، وهو بريطانى اسمه سكوت

عمر البشير

مونكريف يطالب بإنشاء خزان أسوان. ومونكريف خبير مائى جاء إلى مصر من الهند. وقد اعترفت مصر بفضله فأطلقت اسمه على شارع فى حى الزمالك.

●●●

بعد هذه المقدمة الطويلة وهدفها رسم صورة المناخ السياسى السائد فى مصر عندما ألقيت هذه المحاضرة، تقدم الحديث الخطير الذى قاله فيكتور برومت فى ذلك اليوم. قال إنه إذا انشىء خزان فى جنوب السودان، على مسافة ٤٠٠ ميل جنوب الخرطوم عند تقاطع نهر السوباط والنيل الأبيض. وبعبارة أدق شمال هذا التقاطع قليلا.

وهذا الخزان يمكن أن يحجز مياه النيل الأبيض المتجمعة من منطقة البحيرات العظمى فإنه - الخزان - يمكن أن يؤدى إلى خير مصر لأنه ينظم عملية انسياب المياه فى نهر النيل. ويمكن أن يؤدى هذا الخزان إلى خراب مصر!!

- أما كيف يحقق الخزان ذلك؟ قال الخبير:

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

– إذا حجز الخزان كميات ضخمة من المياه ثم أطلقها دفعة واحدة ففى هذه الحالة ستحدث المياه فيضانا ضخما يغرق مصر على ضفتى نهر النيل. أما إذا اطلقت المياه بحساب فإن المياه تنعش الزراعة فى مصر! ولقد اهتم الخبير المائى الفرنسى فى محاضرته بأمر واحد وهو خراب مصر! تكلم بالإحصاءات والأرقام عن تدفق مياه النيل كل ثانية. وبين أن المياه التى ستحجز وراء السد فإن إطلاقها دفعة واحدة يعنى الخراب. وقال الخبير:

– سريان مياه النيل تتحكم

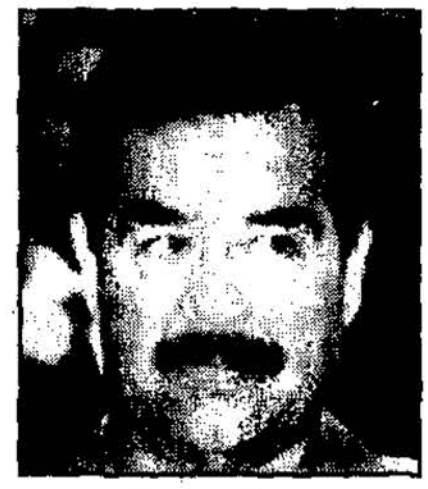

صدام حسين

فيه العوامل الجوية، أى سقوط المياه بكثرة فى موسم الأمطار، وأيضا العوامل الصناعية بحجز المياه وراء السد الجديد.

●●●

المهم أن الخبير الفرنسى قال:

– تكاليف هذا الخزان لن تزيد على نصف مليون جنيه مصرى. وهنا لابد أن نذكر أن هذا الرقم كان عام ١٨٩٣، ولا يجب أن نقارنه بما انفق على خزان أسوان أو السد العالى.

●●●

هذه المحاضرة لم تنشر فى مصر. ولم يشر إليها القنصل البريطانى اللورد كرومر الذى كان يحكم مصر حقيقة فى تلك الأيام. ولكن المحاضرة أرسلت إلى فرنسا. ونوقشت على أعلى المستويات وبالذات مع «سادى كارفو» رئيس الجمهورية الفرنسية. كما بحثها وبالتفصيل ديلكاسيه الصحفى الذى كان قد عين قبل يومين وزيرا للمستعمرات الفرنسية. وكان من بين هموم ديلكاسيه ضعف نفوذ فرنسا فى مصر بعد الاحتلال البريطانى لها.

جون قرنق

●●●

سين: وماذا يعنينا من القصة كلها؟ إن فرنسا رأت أن تحتل الموقع شمال نهر السوباط والذى حدده الخبير المهندس الفرنسى برونت. وأرسلت فرنسا قوة لاحتلال هذا الموقع واسمه فى تلك الأيام مدينة فاشورة. ولكن الإنجليز فطنوا إلى المؤامرة الفرنسية فأرسلوا قوة برئاسة اللورد كتشنر هددت الضابط الفرنسى مارشاف الذى يقود الحملة الفرنسية

وأرغمته على الانسحاب من فاشورة، بعد أن كاد الأمر يصل إلى الحرب بين فرنسا وبريطانيا فى منطقة أعالى النيل. وكان اللورد كتشنر يتحرك فى ظل العلم المصرى – العثمانى القديم فإن السودان فى ذلك الزمان جزء من مصر.

●●●

أقيم خزان أسوان. وأقيم السد العالى..

ولكن..

بقى مشروع إقامة خزان فى أعالى النيل ينظم سريان مياه النيل.. ويمكن إذا اندفعت المياه بقوة ضخمة من هذا الخزان أن يهدد السد العالى، ولكن ذلك لابد أن يخضع لحساب دقيق. ويمكن لهذا الخزان أن يوقف ولو بنسبة كبيرة عمل السد العالى، أو يغير برامجه فى

حجز المياه. وإن كان ذلك كله لابد أن يخضع لحسابات دقيقة يقوم بها خبراء مصريون وعالميون لمعرفة ماذا يمكن أن يفعل مثل هذا الخزان إذا أقيم.

●●●

وقد يقال: لماذا تتشاءمون.. بقيت ست سنوات على تقرير المصير فى جنوب السودان. وبقيت سنوات أخرى حتى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

تقوم حكومة في جنوب السودان. ولا يعرف أحد ماذا ستفعل حكومة السودان بالنسبة لمشروعات المياه فى أعالى النيل. وهل ستفكر فى إقامة مثل هذا الخزان للإضرار بمصر.. وما مصلحتها فى ذلك. أسئلة كثيرة يمكن أن تثار واجابات

كثيرة يمكن أن تقال حتى تطمئن مصر.

●●●

نحن لا نريد لمصر أن تطمئن.. وكل ما نريده منها أن تفكر.. لقد فوجئت مصر باتفاق نيكاكوس. ولا نريد لمصر أن تفاجأ مرة أخرى بخزان فى أعالى النيل. ومن حق السودان شماله أو جنوبه أن يقيم ما يشاء من مشروعات فى أرضه. ولكننا عندما فكرنا فى بناء خزان أسوان كانت مصر والسودان دولة واحدة ورأينا أن نبحث مصلحة شمال وجنوب السودان فى إقامة خزان أسوان. وعندما أقمنا السد العالى، وكان السودان دولة مستقلة بحثنا المشروع بالتفصيل مع حكومة السودان.

إذا قامت حكومة الجنوب فإنها قد - وقد لا - تبحث مشروعات أعالى النيل مع مصر. وحكومة السودان تقول إنها ستسعى للإبقاء على وحدة السودان، وستثبت حسن نيتها للجنوب. وستساهم بشدة فى تعمير الجنوب والنهوض بمستواه ليوافق على الحكومة أو ينادى ويفتى باستمرارها.

ولكن..

كثيرون يشكون فى أن تستطيع حكومة السودان أن تقوم بهذا كله خلال الفترة الانتقالية وهى ست سنوات.

ومن ناحية أخرى، فالقوى الأجنبية التى ضغطت لتحقيق اتفاق نيكاكوس، وفى مقدمتها أمريكا، أو لنقل إنها أمريكا.. ثم بريطانيا، اشترطت على أن يتضمن الاتفاق حق تقرير المصير، أى الانفصال، وهو هدف الاتفاق كله، أما حكاية الشريعة الإسلامية فهى مسألة مؤقتة خلال السنوات الست فلا يخضع الجنوب للشريعة. أما بعد الانفصال فالجنوب حر فى دينه ودنياه.

●●●

كانت المبادرة المصرية - الليبية للسودان مجرد حلم.. إنها تنص على الوحدة والديمقراطية. وحكومة السودان لا تريد الديمقراطية إلا من حيث الشكل، والجنوب منذ ١٩ عاما تمرد على الشمال لتحقيق الانفصال. وجاءت أمريكا بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لتفرض شروطها على السودان باتهامها بالارهاب حينا وبتسليح الجنوب حينا آخر عن طريق الدول المجاورة.

●●●

الآن..

- ماذا تفعل مصر إزاء هذا كله الذى يجرى حولنا.. فى فلسطين قيل لنا إن الحكاية فتح أبواب الهجرة لليهود الذين عذبهم وشردهم هتلر. وعندما جاء شارون قيل لنا:

- الحكاية وما فيها وقف الارهاب.

وفى الطريق قيل لنا:

- ألم تروا ما فعله صدام بالكويت.

والآن يقال لنا:

- نريد تغيير صدام وقيام حكم فى العراق يحقق الديمقراطية فى بغداد ولا يهدد دول الخليج وشعب الكويت بالذات. وأصر الرئيس الأمريكى جورج بوش فى حضور عاهل الأردن الملك عبد الله على أن يعلن أنه سيحارب العراق وسيطرد صدام حسين. وحتى فى تركيا وهى حليف قوى لأمريكا اضطرت إلى أن تسمح باللغة الكردية وبحقوق كثيرة للأكراد كانت تضن بها عليهم.

الآن..

هو السودان.

- ماذا ستفعل مصر والظروف صعبة؟

هل نعادى حكومة السودان لأنها وقعت اتفاقا تحت ضغط أم نحاول وإياها أن نصل إلى حل عملى.

وهل تقبل حكومة السودان نصيحة مخلصة وهى تحت ضغط وقد نصحناها بالديمقراطية فلم تتبعها إلا فى ظل الضغوط الأمريكية والضغوط كلمة رقيقة لا تجرح.

- وماذا عن الجنوب وما موقفنا منه ولنا فى المستقبل مصالح معه. إننا فى حاجة إلى دراسة وإلى دبلوماسية..

وإلى.. وإلى..

●●●

أعان الله مصر.

بقلم: محسن محمد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية